عوامر أبو ظبى

دراسة تاريخية ميدانية لحياة البدو الاقتصادية

جمال محمود حجر[1]

تتنوع البيئة فى دولة الإمارات بين الصحراء والجبل والبحر، ويتمركز سكان الإمارات بصفة عامة فى إقليمين رئيسين هما: الإقليم الساحلى الشمالى حيث المدن والمراكز العمرانية الرئيسة؛ والإقليم الداخلى حيث الواحات ومناطق التجمع حول مياه الآبار. وبين هذه البيئات المختلفة توزعت القبائل فمارست أنشطة اقتصادية واجتماعية ترتبط بطبيعة المكان الذى تستوطنه. والقبائل البدوية الظبيانية، التى عاشت حياتها فى مناطق الرمال الداخلية من إمارة أبوظبى، كانت أقل احتكاكا بالعالم الخارجى، وأكثر التصاقا بعالم البداوة والصحارى الداخلية، فحافظت على تقاليد البادية وتراثها، وتمتعت بحياة بدوية أصيلة لم يدخل عليها أى من المؤثرات الخارجية. وظل الحال هكذا إلى وقت قريب، حين تشكلت الدولة الحديثة وانفتحت على العالم الخارجى ككيان كبير متماسك، يلعب أفراده أدوارا متكاملة فى مجتمع حديث بقدر ما يتوافر لهم من فرص، وبقدر ما يُظهرون أنفسهم من كفاءات، وخاصة الشباب، الذى نشأ فى ظل الحداثة، وسمع الكثير من حكايات الآباء والأجداد عن ثقافة مجتمعات البادية، ولكنه لم يعش التجربة على عمقها وروعتها، التى تُجسد تحدى الإنسان لقسوة البيئة وشح عطائها.

أما الجيلان السابقان على جيل الشباب الحالى، والذى يمثل الآباء والأجداد، فإنهما لا يزالان (٢٠٠١م) يحاولان التوفيق بنسب متفاوتة بين الأصالة التى اكتسبوها من الحياة البدوية، والمعاصرة التى يعايشونها فى الحياة الحديثة. ولا يخلو الأمر من أن يكون بين أبناء القبيلة من لا يزال يعشق حياة البادية، فيتمسك بأنشطتها وثقافاتها، ويلقنها للأجيال المعاصرة، باعتبارها تراثا ثقافيا للمجتمع الجديد، يستحق أن يصان، وأن يبقى، بل وأن يمارس. هذا التناغم الثقافى والاجتماعى بين الأجيال يشكل خيوط السّدى واللُحمة فى

(١) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية.

نسيج المجتمع الإماراتى، وتظهر ملامحه المادية فى الخيام البدوية المنصوبة داخل أسوار البيوت، باعتبارها ملتقى اجتماعيا وثقافيا، بما يُمد فيها من موائد، وما يدور داخلها من سوالف، إلى غير ذلك من مناخ البادية الثقافى، إنه التراث.

وقد قدر للباحث، الذى عاش فى الإمارات ما يزيد على خمس سنوات، أن يكوّن رصيدا ثقافيا واسعا عن التطور التاريخى لقبائل الإمارات، فلمس بوضوح من خلال لقاءاته بطلابه فى الجامعة، وزياراته لعناصر من أبناء القبائل أهل الصحراء والرمال (كالعوامر فى مواطنهم بالعين والمناطق القريبة منها مثل: السماد واليحر والزعلة وسويحان وزاخر ومدينة زايد، وغيرها فى عام ٢٠٠١م) مدى تمسك أبناء القبيلة بعاداتها وتقاليدها البدوية الأصيلة. ورغم أن عددا كبيرا من أبناء القبيلة انفتح على الحياة العصرية فى الدولة الحديثة وشغل مناصب عليا فيها، إلا أن ثقافة البداوة لا تزال تجرى فى عروقهم. إنهم يشكلون ذلك الجيل الذى يحاول التوفيق بين الأصالة والمعاصرة فى الحياة اليومية، فتمسكوا بالتراث بكافة صوره وأشكاله، وانفتحوا فى الوقت نفسه على إمكانيات الحضارة الحديثة ومقوماتها. وقد انسجم تفاعل القبيلة مع توجهات الشيخ زايد فى الجمع بين الأصالة والمعاصرة تفاديا لمخاطر التحول المفاجئ الذى تحدثه الطفرة الاقتصادية.

وقد نجح الشيخ زايد بهذه السياسة فى توطين القبائل، والارتقاء بمستوى معيشتها، واستنفارها للمشاركة بدور حيوى وفاعل فى تكوين الدولة الحديثة، وتأكيد الهوية الوطنية، وتغييب النعرة القبلية، ومعايشة العصر بكافة إمكانياته ومتطلباته، دون إفراط أو تفريط، إذ يستطيع الزائر أن يلمس فى يسر المعايشة الواضحة بين الأصالة والمعاصرة ؛ الأصالة متمثلة فى التراث الشعبى، والمعاصرة التى تحياها الأجيال الجديدة بكافة مباهجها، دون تغليب لجانب على الآخر، تفاديا للعجز عن مسايرة العصر من ناحية، وتفاديا للوقوع فى سلبيات الطفرة الحضارية من الجهة الأخرى.

فالاستمرار مع الماضى أمر واقع، لأن الماضى يعيش بداخلنا ويظهر فى ثقافتنا، والتواصل معه هو الشكل الطبيعى لكينونة المجتمع وثقافته عبر الزمن. وهذا الموقف يحمى دولة الإمارات من الانزلاق إلى تجارب الآخرين غير الملائمة، أو الوقوع فى النتائج السلبية للطفرة. ولم يكن ذلك أبدا معوقا بأى حال لحرص الشيخ زايد على أن يكتسب أبناء الإمارات خبرات جديدة من خلال التفاعل مع الآخر، وهو بذلك يستفيد

من التجربة اليابانية التى رفعت شعار «أخلاق الشرق وعلوم وتكنولوجيا الغرب»، حفاظا على التراث والتماسا للقوة.

فــى هذا الإطار الفلســفى للجمع بين الأصالة والمعاصرة، تعتــبر تجربة دولة الإمارات نموذجــا فــى توطين القبائل. وقد تمكن الباحث من أن يلمــس بوضوح الجهد الذى تبذله الدولة فى توطين القبائل وتحقيق الاستقرار والاستمرار لها.

ومــن الصعب على المؤرخ أن يضبط مصــادر المعرفة ذات العلاقة بهذا الموضوع، نظرا لندرة الكتابة فيه وللحاجة إلى مصادره الشفاهية، بهدف رصد التغير الاقتصادى والاجتماعى الرائع، الــذى طــال القبائل فى مواطنها فى قلب الصحراء. وفــى مواجهة القصور فى المادة التاريخية المسجلة، فقد لجأ الباحث إلى المصادر الحية لما لديها من صور عن الحياة فى الماضى، تختزنها الذاكرة الحية لرجال من الشــيب، لا يزالون يتذكرون قســوة الماضى وروعته فى آن واحد، ولا يزالون يتدارسونه فى مجالسهم الخاصة، فى صورة روايات شفهية، استطاع الباحث أن ينهل منها لاستكمال صورة الواقع الذى غاب عن التسجيل فى الوثائق الرسمية.

ولا يجب أن ينتابنا الشك أو القلق حول طبيعة الروايات الشفوية أو مصادرها، أو النزعة التى قد تنتاب رواتها؛ ذلك أنها جميعا تخضع للمنهج العلمى فى الكتابة التاريخية، من حيــث مصادرها ومحتواها، ومقارنتها ببعضها من ناحية، ومقارنتها بالمعلومات المســجلة من ناحية أخرى. ولا مفر من توظيف الروايات الشفوية فى نقل الأفكار التراثيــة، والصور الاجتماعية، والأوضاع الاقتصادية، واللقطات التاريخية، فى بيئة كانت تفتقر إلى التسجيل والتوثيق. فالتسجيل والتوثيق يُعنى عادة بالمواقف الرسمية فقط، إذا توافر فى المجتمعات القبلية أصلا.

وبهذا يتأكد أن الروايات الشفوية أصبحت مطلبا ملحا فى الكتابات التاريخية المعاصرة، وبخاصــة فى الجوانب التراثية والاجتماعية، التى تُعنــى بالحياة اليومية للناس وبطبيعة أعمالهم، وعلاقاتهم ببعضهم البعض. بل إن توظيف الروايات الشفوية أصبح منهجا جديدا تهتــم بــه الجامعات الحديثة فى مباحث علم التاريخ وعلم الاجتماع، وقد نشــأت له فى الغرب مراكز بحثية متطورة. وإدراكا منا لقيمة الروايات الشفوية، لجأ الباحث إلى المصادر الحية حيث هى، فى مواقع معيشتها، بعضها لا يزال يعيش فى الصحراء، والبعض الآخر يعيش على هامشــها، والأغلبية تســتمتع بالحياة فى المدن الحديثة. وتأتى قيمة المصادر

الحية من أن معظم من التقاهم الباحث قد تجاوز الستين من العمر، وهو ما يجعلهم شهودا على عهدين، اصطلحنا على تسميتهما كما يلى:

الأول: عهد الشقاء، أو عهد ما قبل زايد، أى عهد ما قبل ٦ أغسطس ١٩٦٦م.

والثانى: عهد الرخاء، أو عهد زايد، أى عهد ما بعد ٦ أغسطس ١٩٦٦م.

والعهدان يشكلان مرحلتين مختلفتين تماما، اقتصاديا واجتماعيا. وقد أثبت هؤلاء الشهود من خلال مقابلاتنا معهم قدرة رائعة على تصوير العهدين وإبراز أهم ملامحهما، وذلك من خلال معايشتهم للعهدين معايشة حقيقية، ومن خلال إدراكهم ووعيهم بالفروق الكبيرة والجوهرية بينهما، وهى الفروق التى مكنتهم من إبراز أوجه التقابل بينهما.

وقد سعى الباحث إلى هؤلاء الشيبة حيث هم، فى مواطن إقامتهم، فى مناطق مختلفة من إمارة أبو ظبى. وسجل بالصوت والصورة، كما سجل كتابة لقاءاته بهم، وتحاور معهم حول مختلف التفاصيل التى أوردتها المصادر والمراجع على قلتها، وتثبت من صحة ما ورد فيها، وأضاف إليها ما سقط منها. ولذلك فإن اللقاءات الشفوية التى أجراها الباحث، هى فى الواقع مجموعة من الوثائق الشفوية الحية، التى ندرك قيمتها من خلال دراساتنا لتاريخ القبائل فى مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية.

* * *

وقبيلة العوامر، التى هى محل الدراسة، واحدة من القبائل دائمة الحركة، أو شبه المرتحلة، شأنها فى ذلك شأن كافة القبائل المهاجرة، فى محاولة لتكييف نفسها مع المواضع الجديدة، التى سعت للإقامة فيها أو الترحال حولها؛ فمن استقر منهم فى المناطق الجبلية من إقليم عمان الجنوبى (سلطنة عمان الآن) صار حضرا يعمل بالزراعة. ومن ارتحل منهم بين إقليم عمان الجنوبى وإقليم عمان الشمالى على حافة الربع الخالى (دولة الإمارات العربية المتحدة الآن) صار من سكان الرمال بدوا، وهم عوامر أبو ظبى فى دولة الإمارات العربية المتحدة،[1] التى هى جزء من إقليم عمان الكبير، بمفهومه الجغرافى. وبصفة عامة

(١) محمد متولى، محمود أبو العلا، جغرافية الخليج، ص ١٦٤. ويبدو أن عوامر سلطنة عمان، أو إقليم عمان الجنوبى، هاجروا إليه قبل عوامر منطقة الوسط، أى عوامر الرمال فى دولة الإمارات العربية المتحدة، فوضع الأوائل أيديهم على مناطق خصبة فى عمان، ساعدتهم على الاستقرار والعمل بالزراعة والحرف الأخرى ذات الصلة. أما عوامر الإمارات العربية المتحدة، الذين وفدوا إلى المنطقة متأخرين، فلم يعرفوا الاستقرار إلا على عهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وفى ظل الدولة الحديثة التى أسسها. محمد متولى، محمود أبو العلا، جغرافية الخليج، ص ١٧٠.

يمكن القول إن القبائل الإماراتية فى معظمها أفخاذ من قبائل إقليم عمان. وسوف ينعكس ذلك على كافة مظاهر أوضاعها السياسية والاجتماعية، وقد ظهر ذلك بوضوح فى محاولات رسم الحدود الداخلية بين الإمارات المتصالحة وبعضها قبل إقامة دولة الإمارات العربية المتحدة فى عام ١٩٧١م، وبين دولة الإمارات وجيرانها بعد الاتحاد، فهى حدود تقوم فى الأصل على أسس قبلية. ومن ذلك تخطيط الحدود فى منطقة البوريمى، التى ظلت تُتَداول أكثر من عشرين عاما فى المحافل الدولية، وقد كانت مشكلة قبلية فى المقام الأول، وإن بدت فى ظاهرها نزاعا حدوديا بين دول ثلاث، هى السعودية وأبو ظبى وعمان.

وإذا كان للجغرافية أن تفسر التاريخ؛ فإن مرتفعات عمان، وهى قلب عمان ومصدر الثراء فيه، تشد القبائل إليها. وكذلك فإن إقليم البحرين التاريخى، الذى تعتمد الحياة فيه على البحر والصحراء، يشد القبائل إليه من الجهة الأخرى. ونتج عن ذلك أن اجتذبت مرتفعات عمان بعض بطون القبائل، ومنها فرع قبيلة العوامر الحضر، الذين يقيمون فى جبل العوامر بمنطقة الشرقية بعمان.

أما فرع قبيلة العوامر فى إمارة أبوظبى فيتجولون بالقرب من واحة البوريمى، التى تقع عند سفوح مرتفعات عمان، وهى منطقة تختلط فيها القبائل. والشىء نفسه يقال عن باقى المناطق الحدودية بين عمان والإمارات، ومع ذلك فقبائل الإمارات، شأنها شأن قبائل إقليم البحرين الساحلى، قبائل عدنانية فى معظمها تعتنق المذهب السنى، بينما القبائل العمانية قحطانية فى معظمها وتعتنق المذهب الإباضى.

وواحة البوريمى التى تعتبر أشهر منطقة فى الظهير الخلفى لدولة الإمارات العربية المتحدة، كانت تعرف قديما باسم «سهل الجُو»، كما تعرف كذلك باسم «تُوام»، وتقع فى الطرف الشمالى لمنطقة الظاهرة القريبة من سفوح جبال الحجر الغربية، التى تمتد فى عمان[1].

وتعتبر واحة البوريمى موقعا داخليا منعزلا، يقع عند مفترق الطرق التى تصل ساحل الإمارات بداخل عمان. وكانت منطقة البوريمى تتألف من تسع قرى صغيرة، تتجمع على هيئة مثلث قاعدته نحو ستة كيلومترات وارتفاعه عشرة كيلومترات. وكانت قرية البوريمى

(١) محمد مرسى عبد الله، دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، ص ٢٢١ ؛ محمد حسن العيدروس، التطورات السياسية فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ١٤٣، ١٤٤.

أكبرها جميعا، مما جعل اسمها يتغلب على بقية الأسماء. وقد قسمت هذه القرى بين عمان وأبوظبى، إذ صارت سبع منها تقع فى داخل حدود إمارة أبوظبى، بينما تقع الأخرتان فى داخل حدود عمان، ومنها قرية البوريمى نفسها[1].

وقد وجدت قبائل الإمارات نفسها موزعة بين عناصر الجذب الإقليمى، أى بين إقليم عمان (الجبلى) وإقليم البحرين (الساحلى). وكانت البوريمى ملتقى القبائل جميعها. ونظرا لأنها تقع عند أطراف الحدود، فقد تبدل ولاؤها بين الحين والآخر، تبعا للظروف السياسية والاقتصادية والمذهبية، إلى أن استقر بشكل نهائى داخل الحدود السياسية التى جرى رسمها مؤخرا. ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة، فقد عانت فى مرحلة ما قبل قيام دولة الاتحاد من الانقسام السياسى، إذ انضم بعضها ومنهم العوامر إلى حلف بنى ياس، الذى يتمركز فى واحة البوريمى وإقليم الظاهرة، ويحتفظ بصداقة سلطنة عمان، وهم هناوية. أما حلف القواسم فيضم الشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم القيوين ويحتفظ بعلاقات وطيدة مع الدولة السعودية، وهم غافرية.

وكما أشرنا فى المقدمة يصطلح العوامر فى أبوظبى على تقسيم تاريخهم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الشقاء، وتمثل الفترة السابقة على وصول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى الحكم، فى عام ١٩٦٦م. وكانوا خلالها «عربا يرعون الإبل والغنم، فى حالة تنقل دائم» سعيا وراء الكلأ، الذى يطعمون به ماشيتهم. ولا يجب التقليل من أهمية هذا النشاط، الذى يعتمد الرعى أساسا لمختلف أنشطة الحياة اليومية الأخرى؛ إذ إن الماشية التى يمتلكها البدوى فى مجتمع غير مستقر هى كل رأس ماله، فهو إن دبر لماشيته طعاما جيدا، أطعمته هى بالضرورة طعاما جيدا من لحومها وألبانها، وكساءً جيدا من صوفها وأوبارها. وأكثر من ذلك إنه يستطيع أن يتاجر فيما يفيض عن حاجته، من رؤوس القطعان[2].

المرحلة الثانية: مرحلة الرخاء، ويقصدون بها الإشارة إلى الفترة التى تبدأ بحكم زايد فى عام ١٩٦٦م، وإلى الآن. إذ إنها تشكل نقلة نوعية فى حياتهم. فالعوامر أخذوا فى

(١) عبد المنعم عبد الوهاب، جغرافية العلاقات السياسية، ص ٣٤٦، ٣٤٩.

(٢) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شيخ العوامر فى منزله باليحر يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م؛ لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى العامرى فى الزعلة يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

الاستقرار بتشجيع من الشيخ زايد، الذى كان له اهتمام خاص بالزراعة، فأخذ يوزع عليهم المـزارع والبيوت، التى أقامها لهـم بالقرب من تلك المزارع، فى منطقة العين وليوا ومدينة زايـد، وغيرها[1].

وتقطن قبيلة العوامر بصفة أساسـية فى إمارة أبو ظبى، فى منطقتى الختم[2] والظفرة[3] حيث يشـاركها فى المنطقة الأخيرة المناصير والظواهـر والمزاريع، وهؤلاء جميعا هم حلفاء بنى ياس الهناوية، وهم جميعا من سكان إمارة أبوظبى. والعوامر من القبائل التى تعيش فى المناطـق الداخلية، كما هو الحال فى واحة العين وضواحيها، فى المويجعى والجيمى وفى المناطق القريبة منها، مثل: الوقن، والعقير، والغنينة، وأبوهفافة، وأم الزمول، وقيسولة، وبطحـة، وأبـو الجريد، والسـويتية، واللحمـة، والحضيب، وأم البنادق، والقسـيس، وبن حاير، وسـليم، وفاضية، وعروق الشـيبـة، وموافقة (زاخر حاليـاً)، ودرب الحوز، والخزنة، والختـم، والقرين، والنقرة، وسـويحان، وبدع سلمى، والعشوش، وبدع المغنى، والهير، والزعلة، والسـاد، واليحر، وأبو سمرة، ورماح، وبدع، العيم، وبو أرطاه[4]. وإذا كان العوامـر يقيمون فى السـابق فـى منطقة العين وضواحيها[5]، فإنهـم اليوم يقيمون إلى

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شيخ العوامر باليحر يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٢) منطقة الختم على شكل (نصف دائرة مركزها العين) ويبلغ متوسط قطرها ما يزيد على مائة كيلومتر، وبها كثبان رملية، وتنمو بها أشـجار الغاف والأرطى والغض، التى تقتات الحيوانات على أوراقها، وتكتسـى سـهولها بالحشائش عقب سـقوط الأمطـار، وبها عدد من الآبار العذبة، ولهذا أصبحت أراضيها ملتقـى للقبائل الرحل من النعيم والمناصير وبنى ياس (والعوامر) وتهجرها القبائل وقت الصيف.

(٣) الظفرة منطقة رملية حمراء (الحمرة) تنبت فيها شـجيرات الأرطى والحضى، وبعض الأعشـاب الفقيرة عقب سـقوط الأمطار؛ وهى الديرة الرئيسـية للمناصير، وشـاركها بعـض جماعات بنى ياس، ومنهـم العوامر. محمد متولى، جغرافية الخليج، ص ١٧٤.

(٤) لقاء بين الباحث ومبارك بن عصيان فى السـاد فى ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م؛ ولقاء بين الباحث ومحمد الشـرقى فى الزعلة فى ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٥) يضيف محمد الشرقى أن العوامر قبل النفط والاستقرار كانوا موجودين فى المناطق التالية:

المنطقة الغربية: الجسيس، اللحمة، بن حاير، سليِّم، فاضية، بوهفافة، الحمرة، الرباض، عروج الشيبة، أم الزمول غرب، جيسولة، بطحة، بو الجريد، السويتيـة.

المنطقة الشـرقية: العين، بوهرمة، القرين، النقرة، سـويحان، بدع سلمى، بدع مفتى، الخصوب، الهير، الختم، الزعلة، الساد، اليحر، أبو سمرة، رماح، يدع العيم، بو أرطاه.

جانب ذلك فى مدينة بنى ياس ومدينة زايد[١]. ويسكن نفر قليل من العوامر فى إمارة دبى بالقـرب من الحدود مع أبوظبى وهم من الحبانـين[٢]. وأصبحت المناطق التى كان العوامر يقيمون بها فى السـابق، مفتوحة أمام كافة القبائـل فى ظل الدولة الحديثة، لتقطن فيها فى إطار مجتمع مسـتقر ومتداخل. ولم يعد للعوامر مناطق محددة تخصهم كما كان الحال من قبل، إذ إنهم تداخلوا مع القبائل الأخرى فى نسـيج اجتماعى جديد، حققته فلسـفة زايد فى إطار دولة الاتحاد[٣].

يـقول سـهيل بن مبارك العامرى: كنت وأخى حمد أسـرتين فقط من العوامر، نقيم فى فصل الشتـاء متنقلين بين سويحان والشط ونصاحة والرايفة والنمشلة، وخرايج بوحلف. أما فى فصل الصيف فكنا نذهب إلى الجيمى والعامرية والقطارة بالقرب من العين. وكنا الأخوين العامريين الوحيدين فى منطقة سويحان طرف بنى ياس[٤]. ويضيف سهيل إن بعض العوامر من بيت الخالص هم عوامر من فخذ آل خميـس، وهم من لـز، ويسكنون فى السمحة على طريـق أبوظبى – دبى. ويسـكن الهير على طريق العين – دبـى عوامر من فخذ الحبانين. ويلاحظ الباحث أن العوامر يشـعرون بالامتنان لبنى ياس، وخاصة آل نهيان. فهم يرددون أنهـم وآل نهيان من أصل واحد، ويتفاخرون بذلك فى كل مجلس، ويدعون لزايد بالخير، لأنه شملهم بخيراته الكثيرة، وهم يدينون له بالفضل فى ما هم فيه من نعم[٥].

يقول سـالم بن رصاص العامرى: إن العوامر كانوا يقيمون فى مرحلة البداوة فى منطقة الجيمـى بالقرب من العين، وفيها منطقة تسـمى العامرية نظـرا لإقامة العوامر فيها، وقد اصطحب سـالم بن رصـاص العامرى الباحث فى زيارة إلى حيـث كان يقيم فى بيت من العريش. ووقف أمام أحد البيوت التى بنيت فى السبعينيات وقال فى هذا المكان كان بيتى من العريش، ثم أشـار إلى موضع البئر الذى كان نسـاء العوامر يستخرجن منه الماء، حيث لا تزال آثاره موجودة[٦].

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض فى اليحر فى ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.
(٢) لقاء بين الباحث ومحمد بن سالم فى زاخر فى ٤/ ١٢/ ٢٠٠١م.
(٣) لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى فى الزعلة فى ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.
(٤) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك فى سويحان فى ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م.
(٥) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك؛ لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى فى الزعلة فى ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.
(٦) لقاء بين الباحث وسالم بن رصاص فى ٢٩/ ١١/ ٢٠٠١م.

وإلى منطقــة القطارة القريبة من العين كان بدو العوامر يلجأون ليســتظلوا بنخيل واحة القطارة الكثيف من شمس الصيف الحارقة، شأنهم فى ذلك شأن القبائل الرحل الأخرى، كمــا كانوا يلجأون إلى منطقة المســعودى القريبة من العين والغنية بأشــجار الغاف والعبل والرمث. وكان بها آبار يجرى سحب المياه منها عن طريق الثيران. وكانت كثافة الأشجار تشــجع على الإقامة فيها، لولا ذلك الاعتقاد الســائد بأن الحمى تنتشــر فيها[1]. وكانوا يلجأون كذلك إلى مناطق شــرق المربعة، والهيلى، وسيح بن عمار، وسويحان، وأبوسمرة، والهير. وهكذا كان العوامر يتنقلون شتاء فى مناطق الرمال حيث المراعى الغنية فى أعقاب سقوط الأمطار، ويستقرون صيفا فى مناطق الواحات تحت الأشجار الكثيفة.

وكان عدد المقيمين فى واحة البوريمى يزداد من تســعة آلاف إلى اثنى عشــر ألفا فى فصل الصيف، وتنجم هذه الزيادة عن هجرة البدو من المناطق الداخلية، وكذا هجرة سكان السواحل إليها. ويساعد على كون الواحة منطقة استقطاب أن فصل الصيف هو فصل نضوج ثمــار النخيل وجمعهــا، مما يفتح باب فرص العمل أمام البدو، ويهيئ لهم بيئة مناســبة للهروب من حرارة الصحراء ورطوبة السواحل[2].

وقــد اهتم الباحثــون كثيرا باقتصاديات دولة الإمــارات البحرية كالصيد والغوص على اللؤلــؤ، ولكــن اقتصادياتهــا البرية لم تنل ذات الاهتمام. و يحاول هذا البحث أن يســلط الضوء على حياة العوامر الاقتصادية، فى محاولة لرسم صورة متكاملة لاقتصاديات المجتمع الظبيانى حتى وقت قريب. وفى هذا السياق يتفق العوامر على أن حياتهم فى الماضى كانت تقوم على أربعة موارد أساسية:

المورد الأول: صناعة الرعى، وهو مهنة العوامر الأساسية.

المورد الثانى: صناعة الزراعة، وخاصة النخيل والحبوب كالبر والشعير والذرة والقمح.

المورد الثالث: صناعة الصيد والغوص للبحث عن اللؤلؤ عند الضرورة[3].

المورد الرابع: صناعة النقل (الكريات).

---

(١) لقاء بين الباحث وسالم بن رصاص بالعين يوم ٢٩/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٢) محمــد حســن العيدروس، التطورات السياســية فــى دولة الإمــارات العربــية المتحــدة، ص ١٦؛ عبد المنعم عبد الوهاب، جغرافية العلاقات السياسية، ص ٣٤٩.

(٣) لقاء بين الباحث ومنصور بن سالم بن نهية العامرى فى زاخر يوم ٤/ ١٢/ ٢٠٠١م.

والواقع إن قبائل الإمارات لم تكن تنفرد فى الماضى بمراع خاصة بها، بل كانت المراعى مشاعا بين القبائل إلى درجة تكاد تقضى على مفهوم ديرة القبيلة. ولا سيما فى سهل الظاهرة والسهل الحصوى، حيث كانت المراعى غنية. ومعظم مراعى القبائل كانت فى الغالب بجوار مناطق الاستقرار الزراعى. وهو ما فرض نوعا من العلاقة بين أهل البادية وأهل الواحات المستقرين. كذلك فإن المراعى وحدها لا يمكن أن تكفى لاستقطاب القبيلة، فلابد من توافر المياه كذلك. ولذلك فإن مسألة السيطرة على الآبار، بل وادعاء ملكيتها إنما هو مسألة حيوية للقبائل. وكثيرا ما كانت تقوم المنازعات حول آبار المياه، ولكن العرف جرى على أنه فى أثناء فصول الجفاف يجرى تقنين استعمال المياه للإنسان والحيوان، ومع ذلك فلا تمنع المياه عن القبائل الأخرى، التى قد تضطرها الظروف إلى الهجرة إلى ديرة قبيلة ما[1].

وكما هو واضح فإن حرفة العوامر الأساسية هى الرعى، التى فرضتها طبيعة حياتهم البدوية المرتحلة، ولكنهم انشغلوا منذ قدومهم إلى منطقة العين وما حولها بتربية الحيوانات، خاصة الجمال والماعز، شأنهم فى ذلك شأن قبيلتى المناصير والمزاريع والنعيم. ويختلف العوامر عن نمطين آخرين من القبائل البدوية التى كانت تقطن المنطقة المعروفة الآن بدولة الإمارات العربية المتحدة. النمط الأول هو نمط القبائل التى تتنقل تنقلا فصليا بين أعالى الجبال والسهول المجاورة مثل قبيلة الشحوح وقبيلة الحبوس. والنمط الثانى، تمثله القبائل شبه الرحل، وهى التى تجمع بين البداوة والاستقرار، ويمثلها معظم القبائل الإماراتية. وهذه القبائل كانت تسكن بالقرب من الواحات فعملت بالزراعة والرعى معا، ومن هذا النمط قبيلة العوامر وبنى قتب، وبعض فروع قبيلة النعيم من الخواطر، وبعض القبائل المنضوية سابقا تحت لواء القواسم.

ويلاحظ أنه إذا وجد المرعى والماء وجد العوامر منتشرين حول مجموعة من أنصاف الدوائر المتتالية، التى تتخذ من العين مركزا لها، إذ يتواجدون فى مراعى الختم والحمرة والرباض والظفرة، ويمتد نشاطهم إلى السهل الحصوى من البوريمى إلى رأس الخيمة، وهو من أغنى المراعى فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ولذلك يعد ملتقى للقبائل الرحل، ففيه

(١) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٥٢.

يلتقى العوامر ببنى قتب والغفلة[1]. وقد دفعت الحاجة لتأمين المياه لقطعان الهوش (الجمال) والبوش (الأغنام والماعز) إلى أن يحرص العوامر على علاقات طيبة مع القبائل الأخرى، وذلك بالتعاون معهم فى حفر الآبار التى يجرى توزيع مياهها بين القبائل لترتوى وقطعانها.

وفى سبيل البحث عن المرعى تتسقط القبيلة أخبار المراعى من الطوافين، فإذا ما تبين لها وجود مرعى جيد انتقلت إليه، وبعد أن تأخذ حاجتها من هذه المنطقة وتلتهم مراعيها تنتقل إلى أخرى. وكانت الادعاءات المتقابلة بملكية المراعى من قبل القبائل المتنافسة هى المحرك الأساسى للحروب أو الصراعات القبلية. قبل تنامى السلطة المركزية، وتكوين الدولة الحديثة. وقد كانت المناطق الأساسية التى يتجول فيها البدو فى الإمارات أربع، هى: السهل الحصوى الداخلى؛ ومنطقة الختم؛ ومنطقة الظفرة؛ ومنطقة بينونة.

السهل الحصوى الداخلى: ويمتد من جنوبى واحة البوريمى حتى الطرف الشمالى لإمارة رأس الخيمة، وفيه أغنى مراعى الإمارات، وفيه تتجول قبائل بنى قتب، والخواطر، والغفلة، والعوامر، وخاصة المنطقة المحيطة بالعين.

منطقة الختم: وهى على شكل نصف دائرة مركزها العين، ويبلغ متوسط قطرها ما يزيد على مائة كيلومتر، وبها كثبان رملية، وتنمو بها أشجار الغاف والأرطى والغض، التى تقتات الحيوانات على أوراقها، وتكتسى سهولها بالحشائش عقب سقوط الأمطار، وبها عدد من الآبار العذبة، ولهذا أصبحت أراضيها ملتقى للقبائل الرحل من النعيم والمناصير وبنى ياس والعوامر، وتهجرها القبائل وقت الصيف.

منطقة الظفرة: رملية حمراء، ويسميها رجال العوامر «الحمرة»، وتنبت فيها شجيرات الأرطى والحضى، وبعض الأعشاب الفقيرة عقب سقوط الأمطار؛ وهى الديرة الرئيسية للمناصير، ويشاركها فيها بعض جماعات بنى ياس، ومنهم العوامر.

منطقة بينونة: رملية حمراء كالظفرة تنمو فيها شجيرات الأرطى والمرخ والعبل، وبعض الأعشاب الفقيرة عقب سقوط الأمطار، وهى مراع مناسبة للإبل. وهى المراعى الرئيسة لبنى ياس، وقبائل أخرى، قليل منها من العوامر[2].

---

(١) شاكر خصباك، دولة الإمارات العربية المتحدة (د. م، دن، ١٩٧٨م)؛ لقاء بين الباحث ومبارك بن عصيان العامرى، فى قرية الساد يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م.

(٢) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٥٣.

وفــى الصحراء المترامية الأطــراف، حيث كانت قطعان القبائل تتداخل، جرى العرف علــى تميــز القطعان مــن بعضها بعلامات الوســم (الدمغ، أو أثر الكــى الظاهر على جلد الحيوان)، التى يجرى الاتفاق عليها. ولتمـييز قطعان هذه الإمـارة عن تلك، تُوسـم (تُدمغ) الناقــة على يمين الرقبــة. ولتمييز قطعان القبيلة الواحدة عن الأخرى داخل نفس الإمارة، توســم القطعان فى مكان آخر على يســار الرقبة، وتســمى عند العوامر «الحنية والعمود»، إضافة إلى علامة ثالثة تحت العين وتســمى «الدامع»[1]. وهناك وســم رابع يميز عشيرة عن أخــرى داخل نفــس القبيلة. وتأتى أهمية الوســم فى التعرف على الحيــوان، أو المطالبة بالحيوانات الشاردة أو المسروقة.

كانــت قطعان البوش تقتات على نباتات صحراوية تنمــو طبيعيا، منها «الزهرة» وهى زهور صفراء اللون. ومنها «العنديــة» و«القصيصة» و«العنقودة» و«الخضرمة»، وجميعها من أنواع الحشيشــة، التى تنبت فى أعقاب ســقوط الأمطار. ومنها «العبلة» وهى شــجيرات صحراوية ورقية تتحمل العطش. ومنها «الشــنانة» وهى شــبيهة بالعبلة. ومنها «الحاذة» أشبه بالشنانة، وكذلك «الرمثة»[2]. وفى أوقات الجفاف الشديد التى يسميها البدو «الدهر» وهو موسم قاس، يلحق الضرر بالبدو وقطعانهم، ويدفعهم إلى الحركة الدائبة بحثا عن الكلأ والماء. وفى مثل تلك الأيام القاسية، تأكل النوق شجيرات «الهرمة» و«الغاف» و«السمر»[3].

أما البيطرة فكانت تتم بالكى، فإذا كانت إصابة الحيوان فى البطن مثلا، يكوى موضع بالبطــن، وإذا كانت الإصابة بالرجل يكوى موضــع بالرجل. وبالطبع لم يكن هناك أطباء بيطريون بالمعنى الحديث للكلمــة، وإنما كان هناك طب بيطرى شــعبى، فكل شخص فى القبيلــة هو الطبيب لماشــيته. صحيح أن البعض كان أكثر خــبرة ومهارة من غيره، إلا أن الجميع كان قادرا على مواجهة مشاكل البيطرة والتعامل معها ؛ فحياة البدوى قائمة على اعتماده على سلامة حياة حيواناته.

---

(١) لقاء بين الباحث وظبيب على ســليم العامرى، بمدينة زايد، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م؛ ولقاء بين الباحث وبخيت حمــد الســالمى العامرى، بمدينة زايد، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م؛ ولقاء بــين الباحث ومبارك على طويرش العامرى، بمدينة زايد، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م.

(٢) لقاء بين الباحث ومبارك على طويرش العامرى، بمدينة زايد، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م.

(٣) لقاء بين الباحث وبخيت حمد السالمى العامرى، بمدينة زايد، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م؛ لقاء بين الباحث ومبارك على طويرش العامرى، بمدينة زايد، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م.

ويتذبذب حجم القطعان طبقا لمساحات المراعى وتذبذب المناخ، فهى تتكاثر فى الفصول ذات الأمطـار الوفيرة ويتضاعف عددها. وفى سـنوات المحـل (الجفاف) يمـوت عدد من القـطيـع، أو يذبـح. ويضطر أبناء البدو عند تناقص قطعانهـم إلى ترك اقتصاديات البداوة والعمل أجراء فى القرى الزراعية، أو فى مناطق الصيد فى المدن الساحلية. أو لدى شركات النفـط، أو التجار. ولكن القبيلة تظل حريصة على ديرتها، أى المنطقة الخاصة بها والتى لا يحق لغيرها من القبائل أن ترعى فيها إلا بإذن منها، وفى حالة كون طاقة المرعى كفيلة بسد احتياجات قطعان جميع أفراد القبائل المتحالفة[1].

ويعتمـد اقتصاد القبائل البدوية على تربية الحيوانات، وتتنوع الحيوانات التى تقتنيها القبائل حسـب المناطـق التى ترعى فيها، فإذا كانت من القبائـل التى تضرب فى أعماق الصحـارى والمناطق الأكثر جفافـا، اهتمت بتربية الجمال (الهوش) وإذا كانت من القبائل التـى تتنقل بين الواحات والأراضى الزراعية اهتمت بتربيـة الأغنام والماعز (البوش). أما الماشـية فيقوم بتربيتها الزراع المسـتقرون. ونظرا لأن منطقة الختم والظفرة وبينونة أراض فقيرة بمياهها ونباتاتها، فقد حصر ذلك نشـاط القبائل البدوية فى الرعى. ودفع القبائل، ومنهم العوامر بالطبع، إلى البحث عن عمل إضافى فى فترة الصيف[2].

ولذلك فمن النـادر أن تكون اقتصاديات القبـائل البدويـة بالإمارات بدوية تماما؛ فقد نشـأت علاقات بين البدو وأهل الاسـتقرار لتحقيق مصالح مشتركة. كما أن أهل القرى، مـلاك الأراضـى، كانوا فى حاجـة إلى الأيدى العاملـة لاقتطاف ثمـر النخيل فى فصل الصيـف، وكان البدو خير معين على ذلك، إضافـة إلى أن الواحات تكون فى وقت القيظ ملجأ للبدو. وفى الموسم نفسه يكون تجار اللؤلؤ فى حاجة إلى عمال للغوص. هذا فضلا عن وجود تبادل تجارى بين البدو وسكان القرى؛ فالبدو فى حاجة إلى التمور والحبوب وبعض المحاصيل الزراعية الأخرى، وسكان القرى فى حاجة إلى الحيوانات الحية ومنتجاتها من الأصواف والجلود. كما أنهم فى حاجة إلى الحطب الذى يجمعه البدو الفقراء، أو السُخام (الفحم) الذى يصنع من الحطب. وقد ساهم العوامر فى كافة هذه الأنشطة[3].

(١) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٥٣.

ويعد التنقل الدائم بحثا عن المراعى من أهم مظاهر حياة البداوة، فالمكوث في مكان واحد للمرعى عادة ما يكون قصيرا. وتحدد فترات سقوط الأمطار على مناطق معينة هجرة البدو إليها. وتبدأ حركة البدو الشتوية من أواخر شهر نوفمبر حتى شهر مارس. أما الحركة الصيفية فتبدأ من أوائل شهر يونيو وتنتهى فى نوفمبر، حين تعود القبيلة إلى منازلها الصيفية بالقرب من الواحات والآبار[1].

وبالرغم من الحداثة التى لفت أركان دولة الإمارات، نجد بعض العوامر لا يزال يحرص على الحفاظ على التراث التقليدى، الذى كان يحياه الآباء والأجداد، ومع كون الحياة اليوم صارت أكثر يسرا فى قلب الصحراء عما كانت عليه فى الماضى، فقد صارت ممارسة الأنشطة الاقتصادية التقليدية التي عرفها العوامر أكثر يسرا كذلك، وذلك نتيجة إدخال الوسائل الحديثة فى تربية هذه القطعان، ورعايتها بيطريا.

ويقدم محمد الشرقى شنوح العامرى، الذى يسكن أحد بيتين منعزلين وسط الصحراء فى منطقة الطويسة القريبة من الساد، نموذجا لأسلوب الحفاظ على التراث، وذلك بممارسة المهن والحرف التقليدية للبدو قبل مرحلة النفط، فلدى محمد بالقرب من هذين البيتين عزبة لتربية جمال السباق، التى يبلغ ثمن الواحد منها ما بين نصف مليون ومليونى درهم، وهو نشاط دعمه الشيخ زايد حفاظا على التراث[2]. ويرعى محمد الشرقى بنفسه مجموعة من الجمال والنوق، التى يمتلكها الشيخ زايد. وهو متمسك بالإقامة فى عمق الصحراء بعيدا عن طرق السيارات، لأنه يرى أن مثل هذه المناطق الصحراوية النائية أكثر من غيرها نقاءً وملاءمةً لتربية جمال السباق وتدريبها[3].

ورغم عزلة بيتى محمد الشرقى وأخيه حمد فى قلب الصحراء، إذ تبدو الحياة فى الظاهر قاسية للغاية، إلا أنه أكد للباحث على أن كل احتياجاته من وسائل الحياة الحديثة، كالماء والكهرباء والتلفاز والهاتف، وغيرها متوفرة للجميع، أينما حلوا؛ فالدولة شملت العوامر كما شملت أبناءها بالعناية والرعاية وتوفير كافة احتياجات الحياة

(١) المرجع السابق، ص ٥٥٥.

(٢) تدعم الدولة الجمل الواحد بنحو مائتى درهم فى السنة، ويمتد هذا الدعم ليشمل تربية الماعز، إذ تدعم الدولة كل عنزة بنحو خمسين درهما. كما يشمل الدعم غذاء الحيوانات من الحشائش، إذ تدعم الدولة زراعة مساحات كبيرة من الحشائش والبرسيم.

(٣) لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى، بالزعلة، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م

المعاصرة، دون أن يؤثر ذلك على طبيعة ممارسة البدو لحياتهم التقليدية السابقة فى تربية الحيوانـات. وامتدت تلك العناية إلى المزارع الحديثة، التـى تزرع فيها الخضروات لغذاء الإنسان، والحشائش لغذاء الحيوان. وفى هذا المجال وفرت الدولة كافة المعدات لحفر آبار المياه، وزودت المزارعين بالمضخات الحديثة لرفع الميـاه النقية من الآبار للشـرب، وسقيا الحيوان، ورى النبـات[1].

وينتهج محمد بن سالم بن عنودة العامرى، الذى يقيم فى زاخر، والذى لا يزال يعيش حياة بدوية خالصة فى كل مظاهرها، النهج نفسه الذى يمارسه محمد الشرقى، فحين قام الباحث بزيارة ابن عنودة فى ٤ ديسـمبر ٢٠٠١م (شـهر رمضان) وجده قد افترش الرمال أمام منزله، حيث نصب خيمة، وجمع فيها شـيبة العوامر المقيمين فى زاخر حول النار، انتظارا لموعد الإفطار. كان الجو ربيعـا، وكانت البيئة بدوية فى كل تفاصيلها، عدا وقوف بضعة سـيارات حديثة بالقرب من الخيمة. وراح ابن عنودة العامرى يحدث الباحث بكل فخر، فى حضور جمع من الشيب، عن أسلوب حياته كبدوى أصيل عاش فى الصحراء، وعن تربيته لقطعان الماشية[2]. ويؤكد سهيل مسعود بن عصنة العامرى ما ذهب إليه كل من محمد الشرقى ومحمد بن عنودة من الحرص على حماية التراث البـدوى، عملا بتوجيهات الشـيخ زايـد، ذلك البدوى، الذى أوصى بعدم التخلى عـن ثقافة حياة البداوة، برغم كل وسـائل التحديث التى يقدمها للناس، «فقد جعلنا هذا نتمسك بما لدينا من قطعان الماشية ونرعاها كما لو كنا لا نملك من موارد الرزق غيرها»[3].

ومـع بداية عهد الاسـتقرار الـذى تبنته أبو ظبى منذ بداية حكـم زايد، تحول بعض العوامـر عـن الرعى إلى العمل بالزراعة، والحرف المسـاندة لها. فضلا عن أن بعضهم كان يعمل فى وظائف حكومية، كالعمل بالشـرطة والأمن وقيادة السيارات لدى شركات النفط حديثة العهد بالمنطقة، وكذا أعمال الحراسـة. ولم يسـتح أحد وقتئذ من ممارسة أى عمل طالما أن الحاجة تفرض عليه ذلك.

---

(١) لقاء بين الباحث ومحمد الشرقى العامرى، بالزعلة، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م؛ لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض العامرى، باليحر، يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٢) لقاء بين الباحث ومحمد بن سالم بن عنودة العامرى، بزاخر، يوم ٤/ ١٢/ ٢٠٠١م.

(٣) لقاء بين الباحث وسهيل مسعود بن عصنة العامرى، بزاخر، يوم ٤/ ١٢/ ٢٠٠١م.

يقول سهيل بن مبارك العامرى: «عملت عسكريا لمدة ثلاث سنوات فى شرطة أبو ظبى أيام الشيخ شخبوط، وكانت الحاجة هى الدافع للعمل فى مثل هذه الوظيفة»، وهذا يعنى أن الخروج على المألوف من نمط الحياة البدوية كان يحدث فقط عند الضرورات التي تبيح المحظورات. ويضيف سهيل: «ثم عملت مرافقا للشيخ خليفة بن زايد ولى عهد أبو ظبى (رئيس الدولة الآن). كما عملت مع الشيخ محمد بن خالد آل نهيان». وبعد ذلك «عملت حارسا فى البلدية»، ثم «مراقبا للأراضى البرية فى بلدية العين»[1].

وكما عمل العوامر فى أعمال غير بدوية، على نحو ما رأينا، لم يترددوا فى ممارسة أعمال تتعلق بالبحر كالغوص بحثا عن اللؤلؤ، إذ كان مبارك بن دحروج (أبو سهيل) غيص برغم كونه بدوى الأصل. وهذا يعنى أن بعض العوامر بدأوا منذ فترة مبكرة يتحولون تدريجيا عن بداوتهم إلى حياة أهل البحر، وإلى حرف أخرى، ربما كانوا يرفضونها من قبل. ولا شك أن البداوة لم تحل بين العوامر وبين أن يتكيفوا مع مختلف الحرف والوظائف، فكانوا يجيدون عملية جمع الحطب وبيعه خاما فى الأسواق أو تصنيعه سخاما (فحما)[2].

وفى مجتمع الصحراء المترامية الأطراف، كانت وسائل الاتصال والنقل معدومة، إلا من الجمال التى يعرف عنها أنها «سفينة الصحراء»، إذ كان الجمل يحمل الرجل وطعامه وشرابه بما يكفى لطول رحلته. سواء أكان السفر لزيارة، أم لتجارة، أم لتبليغ رسالة. وفي مجتمع لا يعرف القراءة والكتابة، كان التواصل مباشرا بالضرورة، وكانت الرسائل شفوية. وكان نقل الرسالة الشفوية من مكان إلى آخر يستغرق وقتا طويلا، إذ تحكمه سرعة الجمل، وطبيعة الأرض التى يسير عليها، والظروف المناخية التى تتم فيها الرحلة. وفى كل الأحوال كان التنقل عبر الصحراء سفرا، ولذلك كان المسافر يزود نفسه ببندقية وذخيرة، كما يزود نفسه بالطعام والشراب. وإذا كانت أسواق العين وأبو ظبى وجزيرة دلما هى الأسواق الرئيسية التى كان يتردد عليها أهل الصحراء لشراء احتياجاتهم الحياتية، فإنها كانت كذلك أسواقا لشراء البنادق والذخيرة[3].

(١) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك العامرى، بسويحان، يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٢) لقاء بين الباحث وسهيل بن مبارك العامرى، بسويحان، يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

(٣) لقاء بين الباحث ومبارك على، بزاخر، يوم ٤/ ١٢/ ٢٠٠١م؛ لقاء بين الباحث وبخيت حمد السالى، بمدينة زايد، يوم ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م.

فى مثل تلك البيئة، وفى ذلك الزمان، لم يكن النقل الجماعى معروفا بالشكل الذى نألفه اليوم، بل كانت هناك وسائل نقل بدائية، يتوفر عليها بعض العوامر فى موسم الخروج إلى الغوص فى فصل الصيف، وتسمى «الكريات»؛ إذ كانوا ينقلون النساء وأطفالهن فى رحلات من منطقة أبو ظبى الساحلية إلى منطقة العين الداخلية، حيث قرى العين والقطارة والمويجعى والجيمى والمعترض، وذلك لحماية النساء والأطفال من أخطار قد تأتيهم من جهة البحر أثناء غياب الأزواج والشباب العاملين فى الغوص من ناحية، ولتيسير الحياة فى أماكن أقل رطوبة وأكثر ظلا من ناحية أخرى، ففى مزارع العين توجد أشجار النخيل واللومى والنارنج واليوسفى والمانجو والتين واللوز، ومن ثمرات هذه الأشجار يضمن الوافدون صيفا تلبية احتياجاتهم المعيشية من ماء وغذاء. وكانت هذه رحلات منتظمة إلى حد كبير وذات مواعيد ثابتة[1]. وكانت رحلة الذهاب من أبو ظبى إلى العين تستغرق نحو خمسة أيام على الأكثر، لأن قسوة الجو الحار ومعاناة الأطفال والنساء من الطقس فى رحلة الذهاب كانت تدفعهم إلى الهروب بسرعة من حرارة الشمس، نظرا لعدم وجود أشجار أو استراحات على الطريق.

ويتولى العوامر من جديد أمر إعادة النساء والأطفال من العين وضواحيها إلى أبو ظبى عند انتهاء موسم الغوص وعودة الرجال. وكانوا يعدون لذلك قوافل أكبر عددا، إذ تتكون كل قافلة من عشرة إلى عشرين ناقة. وكانت رحلة العودة تستغرق خمسة عشر يوما على الأكثر؛ ذلك أن النساء كن يعدن محملات بالتمور وأنواع أخرى من الأغذية، وهى أثقال تجعل حركة القافلة بطيئة؛ فضلا عن أن رحلة العودة كانت تتم فى جو معتدل يشجع النساء والأطفال على الاستمتاع بقضاء وقت أطول فى الطريق[2]. وقد جعل هذا من العين أكثر المناطق الخضراء فىأبو ظبى جذبا للسكان، بحيث يمكن القول إنها كانت العاصمة الحقيقية للإمارة، أو هكذا كان يتمنى زايد، إذ هى المنطقة التى يفد إليها أهل البحر وأهل الصحراء معا، بينما لا يخرج منها سكانها، فهى منطقة جذب لا منطقة طرد.

ومن أجل توطين البدو، وتحقيقا للأمن والاستقرار والعيش فى إطار حدود الدولة الحديثة، تعمل الدولة جاهدة على أن يتحول البدو إلى ممارسة الزراعة والحرف الأخرى

(١) لقاء بين الباحث و سالم بن رصاص العامرى، بقرية الساد، يوم ١٧/ ١١/ ٢٠٠٠م؛ على محمد راشد، دولة الإمارات العربية المتحدة فى مجلة العربى، ص ٩١.

(٢) لقاء مع سالم بن رصاص العامرى، بقرية الساد، يوم ١٧/ ١١/ ٢٠٠٠م.

إلى جانب الرعى، فوزعت عليهم الأرض بالمجان، وحفرت لهم الآبار، أو أعانتهم على ذلك، وأمدتهم بالمضخات اللازمة لرفع المياه منها، وزودتهم بالبذور والشتلات وكافة الضروريات، فضلا عن منحة مالية شهرية، تشجيعا لهم على الاستقرار. ووضعت وزارة الإسكان وتخطيط المدن، خطة توطين البدو بالاتصال المباشر مع البدو أنفسهم، وتحديد مساحات من الأرض قريبة من مصادر المياه ومن مناطق إقامتهم، حيث تبنى لكل أسرة منزلا خاصا بها مزودا بكافة المرافق الضرورية. ومع أن التجربة كانت صعبة فى البداية؛ إذ لم يكن من السهولة بمكان تحويل البدو المتنقلين إلى الحياة فى مجتمع مستقر، إلا إنها نجحت إلى حد كبير. وبينما حرص كبار السن على الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم فى العيش على طريقتهم بالقرب من البادية، جذبت المدن الحديثة العناصر الشابة للعمل فى الوظائف والخدمات الحكومية.

ومن أولى البيوت التى بناها الشيخ زايد فى عام ١٩٦٨م لتوطين العوامر، تلك التى لا تزال آثارها موجودة فى منطقة اليحر، الواقعة على طريق العين – أبو ظبى، سكن العوامر منها نحو عشرين بيتا، لم يبق منها اليوم سوى أساساتها وسط مساحة صحراوية خالية إلى الشمال من مصلى العيد باليحر، ويجاورها مدرستان إحداهما للطالبات والأخرى للطلبة، وهما أقدم مدرستين فى قرية اليحر. وعلى هذا النحو فإن اليحر تعد من مناطق العمران الجديدة، التى استحدثها شيخ العوامر محمد بن ركاض، إذ لم يكن بها عند بداية تعميرها قبل الستينيات من القرن الماضى بيوت دائمة، عدا أربعة فقط، وصار بها الآن (٢٠٠١م) نحو سبعمائة بيت. والشىء نفسه يقال عن منطقة الوقن[1]. ويمكن القول إن عقد الستينيات كان نقطة تحول رئيسة فى حياة العوامر، إذ بدأوا يعيشون حياة الاستقرار فى منطقة شرق اليحر بممارسة حرفة الزراعة، فقد تأسس فيها وقتئذ أربع مزارع، ثلاثة منها أقامها العوامر، هى: مزرعة سالم بن حمد بن ركاض العامرى، ومزرعة محمد بن حمد بن ركاض العامرى، ومزرعة حمدان بن سعيد بن سويلم العامرى. أما المزرعة الرابعة فكانت لـ: هيف بن غريب الأحبابى.

وفى إطار تشجيع البدو على الاستقرار وزعت الدولة المزارع على سكان منطقة اليحر، حتى بلغ عدد المزارع فيها (٢٠٠١م) نحو ثمانين مزرعة معظمها بيد العوامر، الذين

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شيخ العوامر، باليحر، يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.

يشــكلون أغلبية الســكان[١]. وتعتمد هذه المزارع على ما يجرى فى بعض الأودية الموسمية الصغيرة من مياه الأمطار حال ســقوطها، ثم تجف فى معظم أيام الســنة. ومن قبل كانت وســائل اســتخراج المياه الجوفية تأتى عن طريق الأفلاج، ولكن هذه الوســيلة تقلصت منذ أوائل الخمســينيات، وأهمل الكثير من الأفلاج نظرا لتكاليف حفرها الباهظة. أما الوسيلة الأخرى لاســتخراج المياه الجوفية فهى الآبار التى تحفر يدويا، وقد حفر ســكان الواحات وبدو الصحراء مئات من هذه الآبار من أجل الشرب والزراعة. أما الوسيلة الثالثة فهى الآبار التى تحفرها الدولة آليا وقد توسعت فيها بشكل ملحوظ، باعتبارها من أساسيات التوطين والعمل بالزراعة[٢]. يقول قريع بن ســالم بالــروس العامرى: «زايد أقرانا وأذرانا»، أى إنه بنى لنا البيوت والمزارع، وأقام لنا القرى، وبنى لنا الدكاكين، ووزعها علينا مجانا، وأمننا من خوف، كما قدم لنا دخولا منتظمة. والآن نحن ننعم بالنعم التى جاد علينا بها زايد[٣].

كان الغوص بحثا عن اللؤلؤ العنصر الرئيس فى النشاط الاقتصادى لسكان ساحل عمان الشــمالى (الإمارات) حتى ظهور النفط، إذ كان يعمل بها نحو ٣٥٪ من نســبة المشــاركين فى هذه المهنة فى المنطقة، ويعمل بها نحو ٨٥٪ من الأيدى العاملة فى إمارات الســاحل المتصالح[٤]. وســاعد على الاهتمام بهذه المهنة قســوة البيئة على اليابس وجدب البر وشح المــوارد، ممــا دفع الناس إلى البحر بحثا عن غذائهــم، فضلا عن أن معظم مغاصات اللؤلؤ كانت تقع بالقرب من الساحل العمانى فى المنطقة المقابلة لإمارة أبو ظبى مباشرة[٥].

وكان العوامر يذهبون إلى موسم الغوص بصحبة بنى ياس، وكانوا يفضلون مهنة الغوص على مهنة «السيب» (أى العمل فى جر الحبال لإخراج الغواصين من القاع) لأنهم يعتبرون عمليــة «الســيب» مهنة وضيعة. أما مــن لا تتوافر لديه خبرة الغوص فيســعى إلى تعلمها بنفسه، معرضا حياته للخطر رافضا العمل فى مهنة أقل مستوى[٦]. وعند الضرورة القصوى كان بعــض العوامر يعملون فى الســيب، على عكس ما ورد ســابقا من أنهم يرفضون هذه

(١) لقاء بين الباحث ومحمد بن ركاض شيخ العوامر، باليحر، يوم ٢٥/ ١١/ ٢٠٠١م.
(٢) معهد البحوث والدراسات العربية، دراسة مسحية شاملة، ص ٥٣٦.
(٣) لقاء بين الباحث قريع بن سالم بالروس العامرى، بزاخر، يوم ٤/ ١٢/ ٢٠٠١م.
(٤) عائشة على السيار، الأصول التاريخية والتطورات المعاصرة بين إمارات الساحل العمانى، ص ١٥٢.
(٥) لقاء مع سالم بن رصاص العامرى فى قرية الساد يوم ١٧/ ١١/ ٢٠٠٠م.
(٦) لقاء مع سالم بن رصاص العامرى فى قرية الساد يوم ١٧/ ١١/ ٢٠٠٠م.

المهنــة، فالضــرورات تبيح المحظورات. وكان المحصول (اللؤلؤ) يقســم بينهم وبين راعى السفينة، وهم يعملون فى هذه المهنة فى الصيف والربيع، أما موسم الشتاء فيعودون إلى البر بحثا عن الأعشاب ورعى الماشية[1].

وإلى جانــب كل من الرعى والزراعــة والكريات (النقل) والغوص، مارس العوامر الصيد كحرفة مفضلة، وهذه الحرفة تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول الصيد بالصقور، وينشــط خلال فصل الشــتاء فى الفترة من ســبتمبر إلى مارس، وخلالهــا يصطادون بالصقور الأرانب والحبارى وغيرها، وفيها يتوجهون فى جماعات إلى مناطق الصيد على ظهور جمالهم إلى حيث الأراضى ذات العشب الطويل، التى يأوى إليها الأرانب البرية والطيور.

والثانــى الصيد بالــكلاب، ويمارس طوال العام، إذ يصطادون الأرانب البرية فقط، لأن الكلاب لا تصلح إلا لمثل هذا النوع من الصيد.

والثالــث الصيد بالبنــادق، ويمارس طول العام، فيصطــادون الأرانب البرية والحبارى والكراوين وبوسولع (الوضيحى)[2].

وعلى الرغم من تنوع الأنشــطة الاقتصادية لأبناء قبيلة العوامر على النحو الذى رأيناه، فقــد أدى ظهور النفط إلى تغيير صــور الحياة على أرض الإمارات تغييرا جوهريا، فتبدلت أنــواع الأنشــطة الاقتصادية، وبدأ الناس يتخلــون تدريجيا عن المهن التقليدية الشــاقة، ويتلمســون طرقا جديدة لحياة سهلة، كما بدأ شــباب العوامر ينضمون إلى قوافل الوظائف الحكومية الجديدة.

❑❑❑

(١) لقاء مع سعيد بن محسن بن بخيت العامرى فى قرية الساد يوم ٢١/ ١١/ ٢٠٠٠م.

(٢) الحبارى من أنواع الطيور البرية، بوسولع يشبه الغزلان ولونه أبيض كبير الحجم، وله قرنان طويلان. لقاء بين الباحث وسعيد بن محسن بن بخيت العامرى فى قرية الساد يوم ٢١/ ١١/ ٢٠٠٠م.